منشىء المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء السادس — اكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٢ — السنة الثالثة

القنصل الروماني والوالي العثماني

أتيليوس ريجلوس وصبحي بك

لما احتلّ الايطاليون جزيرة رودس منذ بضعة أشهر أسروا واليها صبحي بك ، وظل عندهم معتقلاً مدة من الزمن ، حتى وافتنا الصحف في الشهر الغابر بخبر الافراج عنه . وذلك ان الايطاليين أطلقوا سراحه ليعود الى الاستانة فيفاوض حكومته العثمانية بأمر تبادل الأسرى الذين وقعوا في أيدي كلتا الدولتين المتحاربتين . وأعطت حكومة رومة صبحي بك مهلة شهر ليقوم بهذه المهمة ، فاذا لم تفضِ المفاوضة الى نتيجة ترضي الفريقين عاد الى الأسر

قرأنا هذا الخبر في جرائدنا اليومية فذكّرنا حادثة من هذا القبيل جرت منذ اثنين وعشرين قرناً تقريباً في حرب التحمت مواقعها ، كحرب اليوم ، على سواحل افريقيا ، وكان بطلها ، القائد الروماني ماركوس اتيليوس ريجلوس (Marcus-Atilius Regulus) وهو أحد أبناء رومة

القديمة الذين لا يزال التاريخ يردد أعمالهم العظيمة وأقوالهم المأثورة . وقد بلغ حب الوطن عندهم مبلغاً لم يبلغ اليهِ سواهم حتى انهم جعلوا هـذه الفضيلة في مقدمة الفضائل التي يتحلى بها المرء وبهـا يفاخر . وما هذه الحادثة التي نرويها اليوم الا واحدة من تلك الحوادث المدهشة التي يتألف منها تاريخ رومة الجمهورية ورومة القياصرة

***

كان ريجلوس هذا قنصلاً لرومة سنة ٢٥٣ ق م . وكان زمام الجمهورية الرومانية في ذلك العهد فى يد قنصلين يديران شؤونها . وكانت رومة على ايام قنصلية ريجلوس في حربهـا الأولى مع قرطجنة . فتولّى ريجلوس قيادة الجيوش . وبعد ان انتصر على الاعداء في موقعة «إكنوم» البحرية تمكن من النزول بجنوده الى ساحل افريقيا حيث ظلّ النصر محالفه حتى افتتح مدن الشاطئ ووصل الى مدينة تونس فشدّد عليهـا الحصار . ولما أنس من الأعداء ميلاً الى عقد الصلح وضع لهم من الشروط القاسية ما لم يسعهم معهُ قبول السلم . وكان ان أتتهم من بلاد اليونان نجدة بقيادة القائد كسانتيبوس . فخرجوا على الرومانيين واشتبك القتال بين الفريقين فوقع ريجلوس اسيراً بين أيديهم . وظل في الأسر سنتين كاملتين

ثمّ ان القرطجنيين أفرجوا عنهُ ، وأرسلوه الى رومـة ليفاوض حكومتها بشروط الصلح وبأمر تبادل الأسرى ، بعـد ان أخذوا عليهِ الأيمان المحرّجة انهُ يعود الى أسره اذا هو لم ينجح في ما هو مطلق لأجله .

— وهذا ما فعله الايطاليون اليوم مع صبحي بك — فوصل ريجلوس الى رومة ، وبلّغ مجلس الشيوخ (السناتو) المهمة الموكولة اليهِ . فتضاربت الآراء واختلف القوم في الأمر . فسُئل حينئذٍ ريجلوس عن رأيهِ ، فتكلم بجنانٍ ثابت عن وجوب رفض الصلح ، لأن في استمرار الحرب دمار قرطجنة ، وارتفاع شأن رومة على مناوئيها . اما بشأن تبادل الأسرى فأشار ايضاً بعدم القبول . لأن معظم الرومانيين المأسورين من الشيوخ الطاعنين في السن فاذا أُطلق سراحهم لا يجني الوطن منهم فائدة في القتال . اما القرطجنيون المأسورون في رومة فمعظمهم في مقتبل العمر فاذا أُفرج عنهم عادوا الى بلادهم وكانوا عوناً كبيراً لها على رومة

أعرب ريجولوس عن هذا الرأي وهو عارف انهُ بهذا الكلام يقضي بنفسه على حريتهِ . لكن منفعة الوطن كانت فوق كل منفعةٍ سواها . فوافق المجلس على رأيهِ ورفضت رومة مطالب قرطجنة

وللحال أخذ ريجولوس أهبتهُ للسفر ليقفل راجعاً الى محل أسره ، فأحاط بهِ الشعب الروماني — وقد أعجب ببسالته وتفانيه — وطلب اليهِ بالحاح ان لا يعود الى الأسر والعذاب المنتظر له ، فأبى . وأقبلت أمهُ وزوجتهُ تذرفان الدموع السخينة وتستحلفانهِ بالبقاء في وطنه لأن الموت الأكيد ينتظره عند الأعداء ، فأبى وقال : « حلفتُ أن أعود الى قرطجنة اذا لم تقبل رومة بمطالبها ، فلن أحنث بيميني مهما أصابني » . ثم ودَّع ذويه وسافر لا يلوي على شيء

فلما وصل الى القرطجنيين — وكان قد اتصل بهم حضهُ لمواطنيه

على مواصلة القتال — حنقوا عليهِ حنقاً شديداً وأذاقوه العذاب ألواناً . فكانوا يضعونهُ في برميل محشوٍّ بالمسامير ويدحرجونهُ من أعلى الجبل حتى يتخدَّش جسمه ، ثم يطلونهُ بالعسل ويعرضونهُ في اشعة الشمس فتحوم حوله الزنابير والحشرات فتذيقهُ من لسعاتها أشد الآلام . وظلوا بهِ على هذه الحالة حتى مات

هذه حكاية مثال الوفاء والبرّ باليمين عند قدماء الرومانيين. وقد تغنى بهـا الشعراء في قصائدهم وسبكها الكتّاب في روايات تمثيليـة ، وخلّد المصوّرون والنحاتون ذكرها في صورٍ وتماثيل بديعة

وهي تذكرنا بحكاية السموأل المعروفة ، وحكاية الطـائي وقراد مع النعمان[1]

* * *

رأى القارئ شدة المشابهة بين ارسال القرطجنيين القائد ريجولوس الى رومه وارسال الايطاليين الوالي صبحي بك الى الاستانة . فعسى ان يكتب الوالي العثماني في تاريخ قومه صفحةً مجيدة كما فعل القائد الروماني ، وان كان لا ينتظر صبحي ما انتظر ريجولوس من العذاب في الأسر

---

(١) وقد جاء تفصيل ذلك في الزهور (سنة ٢ ص ١٢٤)